



الثبات على الحق

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله هو يتولى الصالحين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:

أيها الأحبة الكرام إن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة تنظم شؤون الحياة. ولا يقبل الله من قوم شريعتهم حتي تصح عقيدتهم. وأهل التوحيد لا يخشون إلا الله فقلوبهم موصولة به سبحانه. ولا شك أننا في مجتمع أحاطت به الفتن من كل جانب. وأهل التوحيد يعلمون ذلك يقينا.

وكم من أناس كانوا على الحق ثم مالوا إلي الدينا وتغيرت قلوب وابتعدوا عن الدين وان الذي يقرأ القرآن والسنة المطهرة ليقف عند هذه الآية خاشعا باكيا سائلا الله الثبات حتي الممات وهي قول الله: ((فَتَنَّا قَدَمَ بَعْدَ نُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)) - النحل 94

ولهذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُكثر من قول : ((يا مُقَلِّبِ القلوب، ثَبِّتْ قلبي على دينك)) ولقد ذكر الله في القرآن أن دعاء أهل العلم ((رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (سورة آل عمران -8))

فلا بد أن يجعل الانسان همه هو الآخرة وأن يكمل الطريق الموصل إليها بثبات وإيمان حتي يلق الله وهو عنه راض. لقد بذل الصحابة جهدهم وضحوا بأموالهم وأنفسهم وكان همهم الوحيد هو الآخرة ومن المؤسف أن ترى من يتقلب في النعيم ويتبع هواه ويتمايل به الشيطان و لا يقيم لله ركعه ثم بعد ذلك يقول أنا على الدين.

إن الفرق بيننا وبينهم أن الجنة كانت هي هدف الصحابة وغايتهم ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم ذكر الجنة كثيرا لتثبيت الصحابة رضوان الله عليهم فيمر على عمار بن ياسر وأمه وأبيه وهم يعذبون فيقول لهم ابشروا إن موعدكم الجنة لأن الذي يعلم الأجر والثواب تهون عليه المشقة وإن النفس تحتاج إلي شيء يرفعها إلي الثبات واليقين



لقد كان الهدف من ذكر قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين في القرآن هو تثبيت قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم و المؤمنين من بعده قال تعالى وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ - سورة هود (120) وذلك لأنه إذا ظهر لك المثال والقُدوة كان ذلك معينا لك على أن تسير على نفس خطاهم وتتبع طريقهم

وقد ذكر لنا القرآن الكريم في سورة البروج مثلا للثبات على الدين عندما تكلم عن أصحاب الأخدود وقد قص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قصتهم كاملة، فقال : "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبِغْثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السِّحْرَ، فَبِعَثْ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ، فَفَعَدَّ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَّ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ صَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمُضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنْيٍّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تُدَلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَنَ بِاللَّهِ، فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنْيٍّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى،



فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمَشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ يَمَشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصَلِّبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، أَمَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَعَقِلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْدَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّ فَحُدَّتْ وَأَصْرَمَ النَّاسُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ! اضْصِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ (رواه البخاري)

انظر إلي صبرهم وثباتهم حتى اللحظة الأخيرة في حياتهم وحينما وضعوا في الاختيار بين أن تستمر حياتهم بكل ما فيها من متاع وبين أن يموتوا على الدين، فاخترتوا أن يموتوا على الدين لأنهم يعلمون أن الموت بالنسبة لهم هو باب الجنة وأن الحياة الآخرة هي الحياة الباقية، يعلمون أن متاع الدنيا زائل ومهما كان عظيماً فهو لا يقاس بعظمة نعيم الجنة الدائم يقول تعالى ﴿قُلْ

مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء - 77

ونظراً لضيق الكلمات فإن الطريق واضح للمؤمنين والمواقف لاتعد ولا تحصى لأهل الدين والمحبين للسنة ومنها على سبيل المثال موقف الإمام أبو مسلم الخولاني وثباته في مواجهة (الأسود العنسي) الذي ادعى النبوة بعد موت النبي فتصدى له أبو مسلم الخولاني وفضح كذبه وتحمل في ذلك مالم



يتحمله أحد، وكذلك وموقف الإمام أحمد في دفاعه عن القرآن الكريم وثباته على الحق في عهد
ال خليفة العباسي المأمون، وإن المطلع على تاريخ الأمة ليجده ممتلئاً بمثل هذه المواقف العظيمة
التي تجعل القلب يزداد إيماناً بالله وثباتاً أمام المحن

وإن المسلم الحق في أشد الحاجة وهو في زمن الغربة إلى أن يؤسس بنيانه على تقوي من الله
ورضوان . نسأل الله أن يثبتنا على دينه وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم

كتبه فضيلة الشيخ تامر صافي بدر الدين مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى مدينة - كولينا
ساو باولو البرازيل